

الفصل السابع

الجنون.. والسياسة

الثورات العربية.. وثقافة " البلطجة "

لعل من مهام الطب النفسي وعلم النفس - بالإضافة إلى علاج الحالات - النفسية دراسة ومتابعة ومواجهة الظواهر العامة التي تهم الناس ، ومن الملحوظ في الآونة الأخيرة لكل من يتابع الأخبار.. وما يحدث على امتداد العالم العربي مع تفجر الثورات الشعبية بصورة متتابعة بدأت في تونس ومن بعدها مصر ثم ليبيا واليمن وسوريا وبقية الدول العربية الاخرى..وكان القاسم المشترك في كل المناسبات التشابه في اساليب الانظمة الدكتاتورية عند مواجهة الاحتجاجات وثورة الشعب .. بداية من القمع باستخدام الوسائل المعروفة والاسلحة المختلفة.. وحتى الاستعانة بفئات معينة يطلق عليها في مصر " البلطجية" وفي دول اخرى " اللالطجة"، واحيانا " الشبيحة" ..وهو وصف لبعض الخارجين على القانون الذين يقومون باعمال العنف والترويع لحساب جهات تدفع بهم كأداة قمع خاصة في الاحداث ..

ومن الانسب وصف سلوك " البلطجة " كبديل عن وصم اشخاص بهذه الصفة.. والجرائم وحوادث العنف التي تحلت إلى ظاهرة يعاني منها المجتمع في كثير من بلاد العالم العربي وتزايدت معدلاتها اثناء اخداث الثورات... وقد تزايد

الاهتمام بجوانب هذا الموضوع علي نطاق واسع خصوصاً ما يتعلق بالناحية الأمنية لمواجهة هذه الظاهرة التي أصبحت تمثل تهديداً خطيراً لشعور الأمن الذي يعتبر في مقدمة الاحتياجات الأساسية للأفراد والمجتمع عموماً حتى تستمر حياة الناس في مسيرتها المعتادة ، غير أن المواجهة لا يمكن أن تكون مكتملة أو فعالة إذا لم تتضمن الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والنفسية للموضوع بجانب الناحية الأمنية .. وهنا اقدم رؤية نفسية للظاهرة وتحليلاً لدوافعها وشخصية الذين يقدمون علي القيام بها في سياق اكثر شمولاً .



ومن وجهة النظر النفسية فإن هذه الظاهرة التي يعرفها الجميع بالعنف أو " الإجرام " أو البلطجة وهي الخروج علي القواعد والقوانين والميل إلى العدوان علي الأنفس والممتلكات بما في ذلك من تعد سافر علي حقوق الآخرين ليست جديدة بل لها جذور اجتماعية ونفسية ، وتحدث بنسب متفاوتة في مختلف مجتمعات العالم ، وهي بالنسبة للطب النفسي أحد أنواع الانحرافات السلوكية نتيجة للاضطراب في تكوين الشخصية ، وبدلاً من التكوين السوي للصفات الانفعالية والسلوكية التي تشكل الشخصية التي يتعامل بها الفرد مع الآخرين والتي تتكون مبكراً وتتصف بالثبات والاستقرار ولا تتغير فإن الاضطراب يصيب

الشخصية فيحدث انحراف وخروج علي الأسلوب الذي يتعامل به الناس في المجتمع مما يتسبب في الاصطدام بين أولئك الذين يعانون من اضطراب الشخصية الذي يطلق عليه الأطباء النفسيون الشخصية " المضادة للمجتمع " *Antisocial personality* .. ولعل في هذا المصطلح وصفاً لما يحدث من خروج علي قوانين المجتمع وسوء التوافق مع الآخرين والاصطدام بالقوانين وهو ما يوصف أيضاً بالسيكوباتنة *Psychopath* والتي تعرف لدى العامة " بالبلطجة " أو الإجرام الذي يتصف به الأشخاص الذين يعرف عنهم الميل إلى ارتكاب هذه الحوادث وتكرار ذلك دون رادع من ضميرهم أو خوف من العقاب الذي ينتظرهم .

وتحدث الانحرافات السلوكية الناجمة عن حالات اضطراب الشخصية - وهي حالات تختلف عن الأمراض النفسية التقليدية مثل القلق والاكتئاب والفصام والوساوس - في نسبة تصل إلى ٢/٣ من الذكور، ١/٤ من الإناث حسب الإحصائيات العالمية في بعض المجتمعات . وتبدأ بوادر الانحراف السلوكي في مرحلة المراهقة عادة أو قبل سن انحامسة عشرة ، وتحدث بصفة رئيسية في المناطق المزدهمة والعشوائية، وتزيد احتمالاتها في الأسرة كبيرة العدد، وفي المستويات الاجتماعية والتعليمية المنخفضة ، وفي دراسات علي أقارب المنحرفين من معتادي الإجرام والذين يتورطون في جرائم العنف (أو البلطجية) ثبت أن نفس الاضطراب السلوكي يوجد في أقاربهم بنسبة ٥ أضعاف المعدل المعتاد ، كما أن الفحص النفسي لنزلاء السجون اثبت ٧٥٪ ممن يرتكبون الجرائم المتكررة هم من حالات اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع أو ما يطلق عليه الشخصية "السيكوباتية" .. ويستدل من ذلك علي أن حدوث ودوافع العنف تبدأ مبكراً مع تزايد

هذه الممارسات والسلوكيات في بيئات معينة يتواجد فيها الشخص في فترات حياته المبكرة حيث يجد فيها النماذج السلبية التي يقلدها ويضاف إلى ذلك الاستعداد الفطري للانحراف لدى بعض الأشخاص الذين يتحولون مع الوقت إلى الإجرام والجنوح لتكون سمة دائمة واختيار متكرر في حياتهم.

وفي الدراسات النفسية التي تقوم علي الفحص لشخصية هؤلاء المنحرفين الذين يتكرر ارتكابهم لحوادث العنف فإن المظهر العام قد يبدو هادئاً مع تحكم ظاهري في الانفعال غير أن الفحص النفسي الدقيق يظهر وجود التوتر والقلق والكراهية وسرعة الغضب والاستثارة لدى هؤلاء الأفراد ، وهم لا يعتبرون من المرضى النفسيين التقليديين ، ولا يعتبرون مثل الأسوياء أيضاً، بل هي حالات بيئية يمكن أن يؤكد تاريخها المرضي الميل إلى الانحراف ، والكذب ، وارتكاب المخالفات والجرائم كالسرقة ، والمشاجرات ، والإدمان ، والأعمال المنافية للعرف والقانون وتكون الجذور والبدائية عادة منذ الطفولة . وهؤلاء لا يبدون أي نوع من الندم أو تائب الضمير ، ولا ينزعجون لما يقومون به بل يظهرهم دائماً وكأن لديهم تبرير لما يفعلونه من سلوكيات غير أخلاقية في نظر الآخرين ، وليس المنحرفون نوعاً واحداً ، فمنهم من يستغل صفاته الشخصية في تحقيق بعض الإنجازات دون اعتبار للوسائل ، ومنهم من يتجه إلى إيذاء الآخرين أو تدمير نفسه أيضاً ، ومنهم من يتزعم مجموعة من المنحرفين أو من يفضل أن يظل تابعاً ينفذ ما يخطط له الآخرون .. ولاشك أن جرائم العنف كالقتل والمشاجرات والاعتصام ترتبط بالانحرافات السلوكية الأخرى مثل الإدمان والسرقة والأعمال المنافية للآداب

العامّة ، وتزيد احتمالات الإصابة بالاضطرابات النفسية في الأشخاص الذين يرتكبون هذه السلوكيات نتيجة لاضطراب الشخصية.

وليس الحل لهذه الظاهرة الخطيرة أمراً ميسوراً من وجهة النظر النفسية بل يتطلب المشاركة بين جهات متعددة لأن الظاهرة معقدة ولها جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والأمنية والنفسية .. وهنا نضع بعض النقاط لتكون دليلاً للتفكير في كيفية التعامل مع المسألة دون إهمال للجوانب النفسية الهامة لها. نرجعها فيما يلي:

المخزنون الذين يعرفون بالبطلجية يختلفون تماماً عن المرضى النفسيين رغم أنهم حالات من اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع . كما أنهم يختلفون عن مرتكبي الجرائم بدافع محدد في ظروف معينة . ولا يعتبرون من المتخلفين عقلياً بل هم حالات غير سوية تتطلب أسلوباً آخر للمواجهة .

للظاهرة جوانب أخرى حيث يشجع علي تفاقمها عدم توقع العقاب الرادع ، والعدالة البيئية ، وعدم وجود ارتباط مباشر بين ارتكاب المخالفة القانونية وتطبيق العقاب المناسب ، والتأخر في مواجهة الحوادث الفردية حتى تتزايد لتصبح ظاهرة .

الوقاية هنا أهم من العلاج وتبدأ بالاهتمام بالتنشئة ، لأن الانحراف الذي يصيب الشخصية يبدأ مبكراً ، وإذا حدث فإن علاجه لا يكون ممكناً.

في بعض البلدان يتم وضع هؤلاء المنحرفين بعد تشخيص حالتهم - وقبل أن تتعدد الجرائم التي يقومون بارتكابها - في أماكن تشبه المعتقلات من حيث النظام الصارم، وبها علاج مثل المستشفيات ويتم تأهيلهم عن طريق تكليفهم ببعض الأعمال الجماعية والأنشطة التي تفرغ طاقة العنف لديهم.

وبعد فقد كانت هذه رؤية نفسية لجرائم وحوادث العنف إلى أصبحت من الظواهر المنتشرة في مجتمعات العالم العربي وتزايدت مع أحداث الثورات الحالية.. وقد كان الدافع إلى محاولة تحليل أسبابها ودوافع ارتكابها وشخصية مرتكبيها هو البحث عن حل يعيد شعور الأمن ليحل محل القلق والخوف من هذه الظاهرة.. والكلمة الأخيرة هي أن كل الجهات التربوية والأمنية والدينية ومؤسسات الرعاية النفسية والاجتماعية والإعلام والجهات الأخرى يجب أن تنسق جهودها وتتعاون معاً لمواجهة مثل هذه الظواهر التي تهتم كل قطاعات المجتمع وترتبط بالحياة النفسية والاجتماعية للناس في كل مناسبة وكل موقع .

ونمة كلمة أخيرة أتوجه بها من موقعي - كطبيب نفسي - إلى القائمين على الأمور في البلاد التي تعيش الثورات، أو التي تنتظر، هي نداء بعدم اللجوء إلى الأساليب الرخيصة كالبطلجة أداة للتعامل مع الخصوم لخطورة ذلك على الأمن والسلام النفسي و آثاره الوخيمة الحالية واللاخقة على المجتمع اذا تم السماح بانتشار ثقافة "البطلجة".

جنون الزعماء :-

ما وجهة النظر النفسية في مسألة ضرورة الفحص النفسي للقادة ..
و"الزعماء"؟؟!!..

يعرف الاطباء النفسيون أن مرضى " جنون العظمة " اى " البارانويا" لديهم اعتقاد راسخ مؤداه أنهم يتمتعون بتفوق وتميز يجعلهم فوق مستوى بقية الناس فمنهم من يظن أنه زعيم سياسي عظيم ، ومنهم من يعتقد أنه شخصية اجتماعية أو فنية رفيعة المستوى، ومنهم من يدعي بأنه يحمل رسالة مقدسة لخلاص البشرية!.. ورغم أن هذه الأفكار والمعتقدات تبدو طريفة للوهلة الأولى حيث تسمعاها من المريض إلا أنك سرعان ما تكتشف أنها ليست مجرد مزاح أو فكرة عارضة لكنها نظام كامل من التفكير يتبناه المريض ويرتبه علي أساس تسلسل قد يبدو في بعض الأحيان منطقي ، وقد يتخلل عرض المريض لفكره بعض النظريات والرؤى والتحليلات الفلسفية لتبرير أفكاره، لكنها في النهاية تصل إلي استنتاجات بنيت علي فكرة مرضية خاطئة .. وقد يصاب بعض الرؤساء والقادة والزعماء بهذا المرض لكنهم بالطبع لا يطلبون العلاج لأنهم لا يظنون لحظة واحدة أنهم يعانون من حالة مرضية بل تسيطر عليهم أفكار العظمة والتفوق ، ويندمجون في الترويج لنظرياتهم وفكرهم الوهمي ويجدون من يستمع إليهم!

ولقد وردت على خاطري فكرة رأيت أن اطرحها للمناقشة من خلال عرضها على زملاء المهنة من المتخصصين في العلوم النفسية .. وقد كنت أراجع بعض الموضوعات التي قمت بنشرها في الصحف وعلى مواقع الانترنت في لموضوعات النفسية الخاصة والعامه، وقد لفت نظري مقال اقترحت فيه ضرورة الفحص النفسي لسائقي السيارات كوسيلة للحد من مشكلة حوادث الطرق المتفاقمة في مصر والتي تحصد أرواح أكثر من ١٠ آلاف شخص سنويا بالإضافة إلى حوالي ٣٠ ألف مصاب . وكان العامل البشري المتعلق بقائدي السيارات من سلوكيات وسرعة جنونية هو السبب الرئيسي في هذه الحوادث وما تسببه من ضحايا وخسائر.

والفكرة التي طرحتها للمناقشة هي اقتراح بضرورة إجراء الفحوص النفسية وتقييم الحالة العقلية لرؤساء وقادة و " زعماء " الدول في المنطقة التي نعيش فيها على وجه الخصوص.. وأهمية أن يتم ذلك بشكل دوري للتأكد من سلامة القرارات التي يتخذها هؤلاء والتي تتعلق بمصائر البشر من شعوبهم .. ولعى الدافع لي إلى إثارة هذه القضية التي أعلم أن تطبيقها ليس بالأمر اليسير هو ما لاحظناه على مدى الأسابيع الماضية بالنسبة لأداء هؤلاء الحكام .. فالاستخدام المفرط للقوة والتصرفات المرضية التي تتسم بالرعونية وسوء تقدير الواقع التي نجم عنها حمامات الدم التي أثارنا مشاعرنا ، وما حدث من قرارات غير منطقية للحكام خصوصا في آخر عهدهم في السلطة التي بقي فيها كل منهم لفترات طويلة من الزمن.. وهذا ما دفعنى إلى عرض هذا الاقتراح بضرورة إجراء الفحوص والتقييم النفسي لهؤلاء

اسرار عالم ————— المجانين ————— اسباب وانواع المرض العقلي

الحكام .. ولكن كيفية تحقيق ذلك فهو أمر متروك لزملاء المهنة في الطلب النفسي ..
وليس ذلك سوى مجرد فكرة أطرحها للمناقشة .

آخر الكلام: المثل المعروف: " شر البلية ما يضحك" .. تخيلت جمعا من

المتظاهرين يهتفون: " الشعب ... يريد... علاج الرئيس."!!!!

جنون .. "مثلًا من سنو كهولم":

Stockholm syndrome (disambiguation)

في رؤية نفسية لاحدى الظواهر المصاحبة للثورات العربية.. كان من الظواهر التي تابعناها ولفقت الانتباه بشدة اثناء الثورات العربية التي اتدلعت تباعا وجود قطاعات كبيرة نسبيا من مواطني هذه الدول يتمسكون بالانظم الدكتاتورية ويدافعون عن بقائها بل قد يواصلون تأييدها حتى بعد سقوطها ..والتعليل المباشر لذلك هو وجود ما يطلق عليه " فلول" لهذه الانظمة المستبدة من الفاسدين الذين ارتبطت مصالحهم بها ويخشون من التغيير .. لكن الامر ليس بهذه البساطة فهناك بالفعل جموع اكبر من عامة المواطنين ومنهم للعجب كثير من الذين تعرضوا للمعاناة والمسجونين في ظل هذه الانظمة الدكتاتورية ومع ذلك يبدوون تعاطفا حقيقيا معها حتي عقب انهيارها.. فما تفسير ذلك من وجهة النظر النفسية!؟

ويمكن ملاحظة هذا التأثير في الأنظمة القمعية، عندما لا تملك السلطة شرعيتها من أغلبية الشعب، فتصبح وسيلة الحكم القمعية ضاغطة على افراد المجتمع، ولدة طويلة، يطور خلالها الافراد علاقة خوف من النظام، فيصبح المجتمع ضحية النظام، ويدرك النظام هذه الحالة مع الوقت، حتى يتقن لعبة ابتزاز المجتمع ..وعلينا - نحن الاطباء النفسيين - تقديم التفسير النفسي لهذه الظاهرة. وهنا نقدم عرضاً علمياً لما يسمى:

متلازمة ستوكهولم - وتسمى أيضا متلازمة هلسنكي *Helsinki Syndrome* ..

وهو مصطلح وصفه عالم النفس والجريمة " نلز بيرت" *criminologist and psychiatrist Nils Bejerot* ..و يطلق على الحالة النفسية التي تصيب الفرد عندما يتعاطف أو يتعاون مع عدوه أو من أساء إليه بشكل من الأشكال، أو يظهر بعض علامات الولاء له مثل أن يتعاطف المخطوف مع المخطِيف .

وقد أطلق على هذه الحالة اسم "متلازمة ستوكهولم" نسبة إلى حادثة حدثت في ستوكهولم في السويد حيث سطا مجموعة من اللصوص على بنك كريديتبانكين *Kreditbanken* هناك في عام ١٩٧٣، واتخذوا بعضاً من موظفي البنك رهائن لمدة ستة أيام، خلال تلك الفترة بدأ الرهائن يرتبطون عاطفياً مع الجناة، وقاموا بالدفاع عنهم بعد إطلاق سراحهم.

والتساؤل عن سبب هذه الحالة.. فعندما تكون الضحية تحت ضغط نفسي كبير، فإن نفسه تبدأ لا إرادياً بصنع آلية نفسية للدفاع عن النفس، وذلك من خلال الاطمئنان للجاني، خاصة إذا أبدى الجاني حركة تنم عن الحنان أو الاهتمام حتى

أسرار عالم ————— المجانين ————— أسباب وأنواع المرض العقلي

لو كانت صغيرة جداً فإن الضحية يقوم بتضخيمها وتبدوله كالثيء الكبير جداً. وفي بعض الأحيان يفكر الضحية في خطورة إنقائه، وأنه من الممكن أن يتأذى إذا حاول أحد مساعدته أو إنقائه، لذا يتعلق بالجاني.

وتظهر هذه الحالات كذلك في حالات العنف أو الاستغلال الداخلي، وهي حالات العنف أو الاستغلال: (عاطفي، جسدي، جنسي) التي تحدث داخل العائلة الواحدة، خاصةً عندما يكون الضحايا أطفال، يلاحظ أن الأطفال يتعلقون بالجناة بحكم قرباتهم منهم وفي الكثير من الأحيان لا يريدون أن يشيروا بأصابع الاتهام إليهم .. ويصاب بهذه الحالة حسب بعض الدراسات ما يقرب من ٢٧٪ من الفئات التالية -

المختطفون - المعتقلون - أفراد العصابات .أسرى الحرب -أفراد الطوائف والمذاهب الدينية -ضحايا زنا المحارم، والعاهرات -ضحايا الاغتصاب -النساء اللاتي يتعرضن للضرب المبرح والاضطهاد الشديد .
و بعض المواطنين في الدول القمعية.

والعلاج في هذه الحالات و التعامل معها يتطلب جهدا كبيرا كالعلاج الجمعي وتقديم الدعم والمساندة وإخراج المصاب من عزلته... كما يجب إعادة صياغة معاني السلوك الأخلاقي ومفاهيم الشر والخير للمصاب بمتلازمة ستوكهولم.

وفي ختام هذا العرض لهذه الظاهرة المثيرة التي صاحبت الثورات العربية في مواجهة انظمة الاستبداد التي سقطت بالفعل في تونس ومصر، والتي لاتزال في مسيرتها في سوريا واليمن ليبيا وماسوف يأتي في بقاع اخرى فاذني من موقعي كطبيب نفسي عربي في قلب الاحداث ادعوزملاء المهنة الى الاستمرار في رصد وتحليل مثل هذه الظواهر.. وعلينا - نحن الاطباء النفسيين في مصر والعالم العربي- ان نتبنى الاختيار بأن يكون لنا دور ايجابي في محالات متعددة منها الوقوف إلى جانب الشعوب في تطلعاتها للحرية والكرامة والديموقراطية وتقديم القراءات السيكولوجية لتفكيك البنية النفسية للحكام المستبدين.. ومواجهة الأنظمة الديكتاتورية.. ورفع مستوى اللياقة النفسية للإنسان العربي..وقبل ذلك وبعده بث الامل والطمأنينة في الافراد والمجموعات من خلال المشاركة والتواجد في الاعلام ومع الجمهور خلال الاحداث والمناسبات المختلفة في هذه المرحلة التاريخية.

والرسالة التي توجهت بها الى كل من حولي على مدى تتابع هذه الاحداث في مصر وفي أرجاء العالم العربي كانت ببساطة وبالعامية المصرية: "لا تبتئسوا" .. أى "ما تخافوش" .. نعم هى رسالة ونداء عاجل الى كل اخواني وبنائي في كل موقع في المدن والقرى والبادية من المحيط الى الخليج.. ورغم جوال الضباب والالتباس .. اجد ان الثورة المصرية العظيمة والربيع العربي حالة ابداع.. ولحظات نادرة عايشناها حافلة بالمشاعر الايجابية والثقة بالله والنفس والوطن.. والمعنويات

أسرار عالم ————— المجانين ————— أسباب وأنواع المرض العقلي
العالية في السماء حيناً ، والاحباط أحياناً..وعليناً _ من موقعنا نحن الاطباء
النفسيين- ان نكون مع الناس وأهلنا من حولنا لمساعدتهم..وتساندهم في كسر
حواجز الخوف للحصول على حقوقهم وتطلعهم الى الحرية التي هي أثنى كثيراً من
الحياة ..